

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

(فأضلونا السيلا) (٥)

الهم غوثنا غوثنا ورحمة ولطفنا . اللهم عوننا ومنة وفضلا . انظر اللهم الى هذه الامة التي شقيت بعد السعادة ، واستعبدت بعد السيادة ، وذلت بعد العز ، وافقرت بعد الغنى ، وضعفت بعد القوة ، وجهلت بعد العلم ، وظلمت بعد العدل ، وفستت بعد الطاعة ، وكفرت بأنم الله فاذا قم الله لباس الجوع والخوف بما دثوا يعنصرين

الهم قد مسن الرجال وفنك النساء وعم الجمل وسامت التربية وأرسلت الحبال على الفوارب فصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والاخرق ولما والمائل مقلياً وهضمت الحقوق وكثر المقوق وفشا الكذب وأكل السحت فأزلت على الامة القصب والمقت ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

الهم ان حكمانا قد أطلقوا الحرية في الفسق والكفر وقيدوا الحرية في العلم والفكر وتركوا شريعتك السماوية واستبدلوا بها القوانين الوضعية وشرعوا للرئيس الاكبر سلطة مقدسة ينسخ بها ما أحكمت ويبيح ما حظرت ويحظر ما أبحت ويعني عن عاقبت (أي حكمت عليه بالعقوبة) فأخذهم العذاب وهم ظالمون

الهم ان علماءنا قد تركوا القرآن والسنة وأخلاق الدين وعكفوا

على الخلاف والبحث في أ " ب المؤلفين وأهلوا ارشاد الامة لأن
بعض فقهاءهم قال لا يجب على العالم ان يعلم ما لم يسئل او اني يسأل الجاهل
المطلق ١١ وأوتوا قولك (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقولك (فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون)

الهم ان قراءنا ومرشدينا قد اتخذوا دينهم هزوا اوليا وخرتهم الحياة
الدنيا يقرأون القرآن تغنيا في الازقة والشوارع والملاهي والجامع لا يجاوز
حناجرهم . وقد استبدلوا بذكرك التغني والرقص والتثني وما كان ذكركم
الا جمجمة وحممة ودمدمة وهممة . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
أولئك في ضلال مبين) . قادوا الامة بزمام الذل الى مقاصدهم فأتت
همها وتراكت غممها زعماء بأن شيوخهم كانوا من الاذلين وأنت تقول
(ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) علموها الاحتجاج على التفسير
بالقضاء والقدر الذي نهى نبيك عن الخوض فيه ودحضت فيه احتجاج
المشركين وعنفتهم على سوء أدبهم حيث قلت في كتابك العزيز (سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ابائنا ولا حرمنا من شيء ١١ كذلك
كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخربون ؟)

الهم انهم قد حولوا قلوب عبادك عنك الى شيوخهم فصاروا
يستعينون بهم في رغائبهم ويستغيثون بهم في نوائبهم ويطوفون بقبورهم
متضرعين ولا حجارها مقبلين ولحاجهم منهم طالين ويقولون انهم

شفعناؤهم عندك يقربونهم اليك زلفى . وما كان الشرك الذي يحاه كتابك وعابه على من قبلهم الا مثل هذا . ولكنهم حرقوا وأولوا، وغيروا وبدلوا، احتجاجا بكرامتك لاوايائك الخالصين . نعم انت فضلك يمنح من أطاعك الكرامة ولكن ما كنت لترضى بقول هؤلاء: إن سواتك السبع بمن فيها من ملائكتك المقربين وأرواح أنبيائك المرسلين صارت في رجل أحد شيوخهم كالحلخال، وهو الذي من لمسه أو لمس أحد خلقائه وذريته لا تمسه النار، وإن أحدهم يسمد ويشقى ويفقر ويعني ويعيت ويحيى (كما قالوا في سيدي أحمد الرفاعي وعبد الرحيم الرفاعي قدس الله سرهما من هذا الضلال) وأنت تقول (وما رسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي لا يقترح عليهم كما قال البيضاوي وغيره . وقد أمرت سيد أنبيائك ان يتصل من الاستطاعة على مثل ما يدعون بقولك (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي، قل هل يستوي الاعمى والبصير؟ أفلا تتفكرون) وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون)

اللهم اصلح الراعي والرعية وألف بين قلوب عبادك وألهمنا رشدنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . وانصر سلطاننا . وأيد برهاننا ولا تجعلنا ممن قلت فيهم (فلو لا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ويزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

أما بعد فقد روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان يسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشر والبلاء الذي يقع على الأمة وعن

أسباب ذلك وقد قيل له في ذلك فقال أحرف الشر لا تقيه فنظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

عرفت الشر لا للشر (م) لكن لتوقيه

فمن لا يعرف الشر (م) من الخير يقع فيه

لا جرم ان العلم بعوارض الامم من السعادة والشقاء هو العلم بالانسان الذي هو أشرف الموجودات في هذا العالم وهو من أشرف العلوم وأهم مباحثه ما يشرح أسباب أمراض الامم وهلاكها ، وقد نبه عليه القرآن الحكيم بمثل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي للانبياء الذين جاؤا لتبذيرهم واصلاح شؤونهم وهدايتهم الى سعادتهم ، ويظن من لاقه لهم بأسرار الدين أن الله تعالى أهلك الامم المكذبة اكراماً لمن كذبهم وانتقاماً لهم ا لو كان ذلك صحيحاً لكان وجود الانبياء فيهم عذاباً ولم يكن رحمة . والحق أن حالتهم في الفساد والفسق والظلم والحيد عن سنن الله في بقاء الامم هو الذي كان سبب هلاكهم كما هو صريح الآيات الكثيرة جداً والمطابق للعقل ، وانما الانبياء والمصلحون أزالوا عندهم وأبطلوا احتجاجهم على الله تعالى بأنهم كانوا غافلين عن سنن الاصلاح (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فبين لهم طرق سعادتهم بآيات الطبيعة ثم آيات الوحي (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والذين كفروا يحسبهم المذاب بما كانوا يفسقون)

هذا العلم هو الذي ينير البصائر ، ويصلح السرائر ، والله در الامام
 الغزالي حيث قال : أفضل العلوم العلم بالله تعالى وبسننه في خلقه . ولكن
 المسلمين تجاوزوا بأنظارهم آيات الكتاب الكثيرة التي أرشدتهم اليه ،
 والآيات الكونية في الآفاق وفي أنفسهم ، وحسب جمهورهم انه لا يمكن
 الكلام على مستقبل الامم الا بالاطلاع على النيب ، وحلوا كل ماورد في
 السنة على ذلك . وزاد عليها الزنادقة والمنحرفون أحاديث وضعوها واقتروها
 لما رآب ، فكان للباطنية واضرايهم من المبتدعة فيها ملاعب ، وفي التوسع
 بالتأويل مشارب ، وفي انقسام عرى الوحدة بالتفرق في الدين مذاهب
 لمسك عنان القلم عن الجري في هذا المضمار الآن ولناخذ من
 التاريخ قبسا نستضيء به في بحثنا عن اضلال رؤسائنا لنا وانحرافهم بنا
 عن جادة السعادة الى تيه الشقاء والحزي . مالوامع الهوى ، فطرحونا
 في الهوى (بضم الهاء ج هوة) وانتهى بهم الاستبداد ، الى توهين قوي
 الافراد ، وان شئت قلت الى اضمحلال الامة واعدامها اذ ليست قوة
 مجموع الامة الا قوة الافراد بعينها

رؤساؤنا هم الاصراء الذي تولوا أمرا الاحكام ، والعلماء الذين بيدهم
 أزمة العلم والتعليم ، والمرشدون الذين تصدوا للتربية والارشاد . وانا
 نكتب مقالات نبين فيها كيف كانت اضرارهم لنا حتى انتهينا الى هنا
 ونبدأ بالكلام في الخلافة والخلفاء والسلطين والاصراء . فانتظر
 الاعداد التالية